

أفلام الوباء: هل تحولت مشاهدة مخاوفنا لعلاج؟



حتى قبل الجائحة، كانت أفلام نهاية العالم أو أفلام الوباء تحتل دومًا مكانة الصدارة في السينما العالمية، الآن مع وجود ملايين الأشخاص في المنزل بسبب تفشي COVID-19، يتابع الكثيرون مثل هذه الروايات، فأصبح فيلم الإثارة Contagion الذي أنتج عام 2011، ويصور انتشار فيروس قاتل من الصين، مؤخرًا أحد أكثر الأفلام شهرة على iTunes و Video Prime Amazon وفي مكتبة Warner، المتحدة الولايات في قاتل فيروس حول يدور الذي 1995 لعام الرائد Outbreak فيلم واحتل، Bros، صدارة قائمة Netflix للعشرة أفلام الأكثر مشاهدة في مارس/آذار.

لماذا يلجأ الناس إلى التلفزيون؟

يقول كريستوفر هوبيشود الأستاذ في جامعة هارفارد: "الروايات التي تندرج تحت هذه الفئات تستفيد من أشياء مختلفة، فتحاول كل من الأفلام مثل "العدوى" أو "التفشي" تتبع الواقع وإظهار صورة لما قد يعنيه مواجهة شيء بشع للغاية، حيث تتعرض مؤسساتنا وبنيتنا التحتية للتحدي والتهديد - وربما حتى الوصول إلى نقطة الانهيار - مع إضافة بعض العناصر البشرية إليها.

كلا الفيلمين لم يتعاملا فقط مع العدوى بشكل تجريدي، لكن أدرجا الناس ونضالاتهم والمعضلات الأخلاقية التي واجهوها، على سبيل المثال، وجه "العدوى" سؤالًا حقيقيًا: هل تأخذ بعض اللقاحات الممكنة وتعطيها لشخص عزيز، منتهاك البروتوكولات الخاصة بمن هو مؤهل للحصول عليه أم تلتزم بتطبيق القانون؟

محاكاة الموقف وما يمكن عمله في ظروف مشابهة - أكثر قسوة ربما - سبب آخر لهذه الميول بحسب دراسة نشرتها مجلة هارفارد، "ما يسمح لنا الأدب الخيالي بفعله الآن هو النظر إلى الأفراد الآخرين في مواقف مبالغ فيها لكن متشابهة - على مسافة كافية - حيث يمكننا معالجتها. إذا كنا سنبتكر موضوعًا للعقدين الأولين من القرن الحادي والعشرين وأحد الموضوعات العديدة لهذه اللحظة، فسيكون أن

جميع الأشياء التي نعتز بها أكثر هشاشة مما نتخيله في أي وقت مضى - أسلوب الحياة حيث يذهب الناس إلى العمل كل يوم و تنتقل في جميع أنحاء العالم على متن الطائرات - يمكن أن يختفي كل ذلك في لمح البصر.

هذه فكرة مخيفة للغاية، لكن من المهم بالنسبة لنا أن نواجهها لأنني آمل أن تجربنا جميعًا، بدءًا مني، على إدراك مدى قيمة هذه الأشياء، ومدى هشاشتها، ومدى اليقظة التي يجب أن نتقدم بها في الحفاظ عليها مع صحتنا“.

بلا شك فإن الأفلام التي تدور حول الأوبئة والعزلة هي أعمال تخيلية ترفض قبول أن الواقع يحتكر المرض أو اليأس أو الرعب أو الألم

تحتوي معظم هذه الروايات على استنتاجات تبعث على الأمل - وإن لم تكن تبعث على السخرية -، ومع ذلك، هناك ضوء في نهاية النفق، للبقاء مع ”الحرب العالمية زد“، تسوء الأمور، العالم ينهار، لكن بالطبع يكتشف براد بيت نقطة ضعف الزومبي الوحيدة ويستخدمها العالم لصالحه ونرى نوعًا من المونتاج في النهاية حيث يكافح العالم في طريق عودته.

ينتهي الفيلم برسالة مفادها: ”لم تنته بعد. هناك المزيد لنفعله“، إنه نفس الشيء مع أفلام الغزو من الفضاء - بدءًا من فيلم Day Independence وصولًا إلى سلسلة Avengers s’Marvel، تدفع هذه القصص الإنسانية إلى حافة الهاوية ثم تبدأ بالكفاح، هذا النوع من القصص يلهم الناس ويعطيهم الأمل أن بإمكانهم أن يفعلوا شيئًا حتى في أسوأ الظروف.

الوجه الآخر لعملة فيروس كورونا هو العزلة، فالأفلام عن الأوبئة الفيروسيّة والزومبي هي قصص مترامية الأطراف تجتاز بلدًا وقارات وكواكب بأكملها، إنهم يتخيلون عالمًا خارج كل سيطرة إنسانية، فالأفلام التي تدور حول العزلة والاحتواء مهووسة أيضًا بفقدان السيطرة لكن من زاوية معاكسة تمامًا، ما يضع شخصياتهم في حجر صحي وجودي يزعج عقولهم.

النسخة الكابوسية للعزلة ظهرت في عدة أفلام رعب في غرف مغلقة مثل: Cube، Saw، Quarantine و Fermat’s Room. إن الرهبة التي تصاحب الغرف المغلقة التي الرهبة إن. لأنها نفس الشيء الذي يتبعنا حول شققنا في عزلة، ويسألنا عما إذا كنا على يقين من أننا لسنا على وشك فقدانها.

من الناحية النفسية، فإن تلك النقرات المروعة الدموية هي وريثة أفلام الاحتواء والتوتر المنزلي الكلاسيكية، مثل النافذة الخلفية لهيتشكوك ونفور بولانسكي، ففي أفلام مثل هذه، تصبح شقة أو مساحة أخرى محدودة صورة مصغرة للعالم، في الوقت نفسه تظهر لنا مسرحًا صغيرًا ومساحة رمزية واسعة.

العزلة هي الموقف الذي يجد معظمنا أنفسنا فيه، في الوقت الحالي، بينما نحاول تفادي هذا المرض، ننتظر، لا يمكن أن نخاف من الخيال الذي يعكس الظروف التي نمر بها، حتى عندما تكون مخيفة، كما هو الحال مع Contagion، وبلا شك فإن الأفلام التي تدور حول الأوبئة والعزلة هي أعمال تخيلية ترفض قبول أن الواقع يحتكر المرض أو اليأس أو الرعب أو الألم.

أفلام نهاية العالم باختصار، وسيلة لتجسيد مخاوف الناس وطموحاتهم، صحيح أنها لا تقدم المحاكاة بنسبة 100% - وإلا ستكون أفلامًا وثائقية - لكنها تقترب إلى حد كبير لتكون علاجًا يهدئ النفوس

الخطر القادم من البشر

لا تعتمد أي من هذه الأفلام بشكل كبير على الأشخاص المرضى لإثارة الرعب، وبدلاً من ذلك يصنع الأشرار الذين يضطهدون الضعفاء: البيروقراطيون السيئون والعسكريون في أفلام الإثارة، الزومبي، التي

عادة ما تقوم على انتشار بعض الأمراض التي تحول الناس إلى الزومبي.

في فيلم Zero Patient virus-Zombie، يلعب ستانلي توتشي دور أستاذ في فلسفة العصور الوسطى يدرس عقيدة أوغسطين للحب عندما يتعرض للعض، فيتمو ليصبح فائق الذكاء وعنيفًا بشكل رهيب، موضحةً للبشر الباقين على قيد الحياة أنهم ماتوا تطورياً لأنهم يؤمنون بالحب - معيار أوغسطين لكونهم إنساناً.

يطرح فيلم Zero Patient، فكرة أخرى عن سبب انتشار الفيروس: الغضب الجماعي للمجتمع الذي أدركته "النسويات" و"المحافظون" و"النزوات" بين الفصائل الأخرى، وفي أفلام أخرى، الخطيئة التي تسبب إلى الخراب هي الحرب.

في سلالة أندروميديا، منذ عام 1971، سقط سكان قرية أمريكية ريفية ميتين وتحولت دماثهم لسبب غير مفهوم إلى مسحوق، تجمع القوات المسلحة مجموعة من العلماء الخبراء للعمل على حل في مخبأ عميق متعدد المستويات مخفي تحت مبنى يسمى "المركز الزراعي"، فاكتشفوا أن تفشي المرض هو نتيجة الحرب الجرثومية.

رجل أوميغا أيضاً من عام 1971، هو فيلم آخر عن الذنب الأمريكي، يعتقد تشارلتون هيستون أنه آخر رجل على قيد الحياة، وحافظ بمفرده على الحضارة ضد الجماهير المصابة في كل أنحاء الكوكب، يُطلق المصابون على أنفسهم اسم "العائلة" ويقابلون التكنولوجيا الحديثة ويرتدون أردية الراهب وينددون "برائحة النفط والدوائر الكهربائية"، فمن وجهة نظرهم: العلم والأسلحة والفن دمروا البشرية ولا يمكن إنقاذها إلا من خلال التدمير التطهيري للمرض، يجعلك الفيلم في حيرة بشأن أي جانب تتخذ من القصة.

أفلام نهاية العالم باختصار، وسيلة لتجسيد مخاوف الناس وطموحاتهم، صحيح أنها لا تقدم المحاكاة بنسبة 100% - وإلا ستكون أفلاماً وثائقية - لكنها تقترب إلى حد كبير لتكون علاجاً يهدئ النفوس، ويجعلها أكثر استعداداً ومواكبة لمواجهة الخطر، وأكثر أملاً بإيجاد حل مهما بدت النهايات مسدود، سلسلة أفلام evil resident نموذجاً!